مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . المجلد 14 العدد 2 جويلية 2023/ - محرم 1445ه
ص ص: 11 – 28

❁ منهج الإمام الثعالبي في نقل أقوال الإمام مالك من خلال تفسيره" الجواهر الحسان"

The Imam Thaalibi approach to transferring Imam Malek says Through his Tafsir (interpretation) " Al-Jawaher Al-Hissan "

د. خليل الزاوي*
جامعة الوادي، معهد العلوم الإسلامية (الجزائر)
zaoui-khalil@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2023/01/15 تاريخ القبول: 2023/05/10 تاريخ النشر: 2023/07/30

ملخص:

يبرزُ جليّاً لقارئ تفسير "الجواهر الحسان" العناية البارزة التي أَولاها الإمام الثّعالبي بالمذهب المالكي؛ من ذلك اتّباعه أساليبَ متعدّدة في نقله لأقوال الإمام مالك، أبرزُها أنّه يقتصر على ذكر قوله في العديد من المسائل، ويقدّمه على غيره حالَ الاتّفاق، كما يصرّحُ باسمه ويشيرُ إلى غيره دون ذكرٍ لأسمائهم في مواضعَ عدّة، ولم يقتصِر في نقْل أقوالهِ على الجانب الفقهيِّ بل تعدّاهُ إلى الجانب التّفسيريِّ، كما تظهرُ مخالفته له في مسائلَ معدودةٍ، وهو ما رسَم منهجاً متكاملاً يهدفُ هذا البحثُ لدراستهِ وبيانهِ.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ الثعالبي؛ مالِك؛ التفسير؛ الجواهر الحسان.

Abstract:

It's obvious for any reader of the Tafsir " Al-Jawahir Al-Hissan" the great care that The Imam Thaalibi shows for the Malekism or Malek ideology. For example, he transferred the Imam Malek says in many different ways. The most significant sign he mentioned only the Imam Malek says in many issues. He also presented him instead of the others in case of agreement. As well as, he named him directly whereas he just gave hints about others in many positions. The Imam Thaalibi didn't transfer Imam MalekFiq'h only but also his tafsir and interpretations. They disagree only in few points ;thus , a complete approach appears. An approach which this research is about to study and analyse it.

Keywords: Approach; Thaalibi; Malek; Tafsir (interpretation); Al-Jawahir Al-Hissan.

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فعند قراءة تفسير " الجواهر الحسان" للإمام الثعالبي يُلاحظ أن صاحبه أكثر من النّقل عن الإمام المالكي في تفسيره مقارنةً بغيره من أصحاب المذاهب الفقهية، ممّا يعكس اهتمامه بالمذهب المالكي وعنايته به، وليس هذا بمُستغرب؛ لأنّ المذهب المالكي هو مذهب أغلب مشايخه الذين تتلمذَ على أيديهم، كما أنّه المذهب الفقهي المُتّبع في بلدان المغرب الإسلامي، ويُلاحظ أن نقل الإمام الثّعالبي عن الإمام مالك جاء بعدّة أساليب، فتارة ينقل أقوال الإمام مالك مُقدّماً قوله على أقوال غيره من العلماء، ويقتصر على ذكر قوله دون قول غيره من العلماء في كثير من المواضع، وأحياناً يذكر قوله ويكتفي بالإشارة إلى أقوال غيره من أهل العلم بقوله: "قال فريق من العلماء"، أو: "وجماعة معه"، أو: "وجمهور من العلماء" أو: "وقال غيره"، كما أنّ نقل الإمام الثّعالبي عن الإمام مالك لم يقتصر على الجانب الفقهي بل تعدّاه إلى آرائه التفسيرية، والقول بأنّ الإمام الثّعالبي مالكيّ المذهب لا يعني عدم مخالفته للإمام مالك في بعض المسائل؛ إذ رجّح بخلافه في مسائل محدودة، وهو ما رسم منهجاً متكاملا للإمام الثعالبي في نقله لأقوال الإمام مالك سأتطرّق إلى دراسته في هذه الورقة العلمية.

إشكاليّة البحث:

سأنطلق في دراسة هذا الموضوع من التّساؤل التّالي: هل اتّبع الإمام الثّعالبي منهجا محدّداً في نقله لأقوال الإمام مالك في تفسيره الجواهر الحسان؟

منهج المعالجة:

للإجابة عن الإشكاليّة المُبرزة سابقا اعتمدت على المنهج الاستقرائي الوصفي أما الاستقرائي فكان من خلال استقراء تفسير الجواهر الحسان واستخراج المواضع محلّ الدراسة ويظهر المنهج الوصفي في عرض هذه المواضع والتّعليق عليها بما يهدف موضوع الدّراسة.

خطّة البحث:

مقدمة

المطلب الأول: تعريف مختصر بالإمام الثّعالبي وتفسيره الجواهر الحسان

المطلب الثاني: الاقتصار على ذكر أقوال الإمام مالك

المطلب الثالث: تقديم الإمام مالك على غيره من العلماء عند الاتفاق على قول واحد

المطلب الرابع: التصريح باسم الإمام مالك والإشارة إلى غيره دون ذكرٍ لأسمائهم

المطلب الخامس: نقل آراء الإمام مالك التّفسيرية

المطلب السادس: مخالفة الإمام مالك في مسائل محدودة

خاتمة

المطلب الأول: التّعريف بالإمام الثّعالبي وتفسيره الجواهر الحسان

الفرع الأول: التعريف بالإمام الثعالبي

هو عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي أبو زيد الجزائري المالكي مذهبا الأشعري عقيدة، من نسب الإمام علي بن طالب ﷺ، لُقّب بالثعالبي نسبة إلى آبائه وأجداده الثعالبة، والجزائري نسبة إلى وطنه الجزائر، والمالكي نسبة إلى مذهبه الفقهي المالكي، ولد سنة 786هـ ناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر وبها كانت نشأته[1].

بدأ الإمام الثعالبي مسيرته العلمية مبكرا فأخذ من مشايخ منطقته وادي يسر، ثم ما لبث إلى أن ارتحل إلى بجاية سنة 805هـ وتتلمذ على يد أكابر علمائها، وواصل مسيرته في طلب العلم بانتقاله إلى تونس سنة 809هـ ليحط الرّحال بعدها إلى بلاد الترك، وبالتحديد إلى مدينة بورصة التي أقيمت له فيها زاوية لا تزال موقوفة باسمه إلى يومه، ليتوجّه بعدها إلى بلاد الحجاز وأخذ على علمائها، ليعود بعدها إلى مصر ومنها إلى تونس سنة 819هـ[2]، وقد تطرّق –رحمه الله– في آخر تفسيره لسورة الشورى إلى الحديث عن مسيرته العلمية ورحلاته ومشايخه الذين تتلمذ على أيديهم في شتّى الأقطار الإسلامية[3].

وبعد نهله من شتى العلوم الشرعية اعتكف – رحمه الله– على التأليف فأثرى خزانة المؤلفات الإسلامية بالعديد من المصنفات أبرزها تفسيره " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" كما له العديد من المؤلفات الأخرى فهرس لها في مؤلف مخصص ذكر فيه أسانيد مروياته[4]؛ من بينها: "روضة الأنوار في الفقه وكتاب في معجزاته ﷺ والأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة والدر الفائق في الأذكار والعلوم الفاخرة في أحوال الآخرة

---

[1] ينظر ترجمته في: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن قاسم مخلوف، 382/1، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن ميمون الجزائري، ص.334.

[2] ينظر: تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، 280/2-281.

[3] ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، 171/5.

[4] ينظر: غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، الثعالبي، ت: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ، 2005م، ص. 26-29.

وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين وإرشاد السالك جزء صغير وأربعون حديثا مختارة والمختار من الجوامع وكتاب جامع الفوائد وكتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات وكتاب النصائح وكتاب تحفة الأقران في إعراب بعض آي القرآن والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز وشرح منظومة ابن بري في قراءة نافع والإرشاد في مصالح العباد"[5]، وهذا الكم الهائل من المصنفات إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الإمام الثعالبي لم يكتف بالتفسير بل سبر أغوار شتى العلوم الشرعية من فقه وحديث وعقيدة وقراءات ولغة، فكان بحق موسوعة للعلوم الشرعية و مُثْرٍ بصنيعه هذا خزانة المؤلفات الإسلامية.

توفي – رحمه الله– سنة ست وسبعين وثمانمائة بالجزائر ودفن بـ " جبانة الطلبة" نواحي " باب الوادي" بالجزائر العاصمة[6].

الفرع الثاني: التعريف بتفسير الجواهر الحسان

هو "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" صرّح مؤلفه باسمه في مقدمته حين قال: "وسميته بـ " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" أسأل الله أن ينفع به كل من حصّله"[7].

واستقى الإمام الثعالبي لتفسيره من العديد من المؤلفات أبرزها: تفسير" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي، قال في مقدمة تفسيره: " فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية"[8].

[5] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن قاسم مخلوف، 382/1.

[6] ينظر: وفيات الونشريسي للونشريسي، ص. 105-106.

[7] الجواهر الحسان، الثعالبي، 120/1.

[8] المصدر نفسه، 117/1.

كما صرّح – رحمه الله– أنه رجع إلى قرابة المائة تأليف ملتقطا من فوائدها الكثير، يقول في ذلك: "وزدته فوائد جمه، من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحققين، وكل من نقلت عنه من المفسرين شيئا فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عولت، ولم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أغزوها إليه"[9].

ويقف القارئ لتفسير الجواهر الحسان على بعض الرموز التي يستعملها الإمام الثعالبي في تفسيره، فتارة يجد حرف التاء وتارة يجد حرف العين وتارة يجد حرف الصاد، وقد أبان الإمام الثعالبي عن دلالات هذه الرموز؛ وهذا في قوله: "وجعلت علامة التاء لنفسي بدلا من "قلت" ومن شاء كتبها "قلت"، وأما العين، فلابن عطية، وما نقلته من الإعراب عن غير ابن عطية فمن الصفاقسي مختصر أبي حيان غالبا، وجعلت الصاد علامة عليه، وربما نقلت عن غيره معزوا لمن عنه نقلت، وكل ما نقلته عن أبي حيان، فإنما نقلي له بواسطة الصفاقسي غالبا، قال الصفاقسي: وجعلت علامة ما زدته على أبي حيان "م" "[10].

ويعدّ "الجواهر الحسان" من بين التفاسير التي عني أصحابها بالمأثور وجعله مصدرا أساسيّاً يُعتمد عليه لبيان معاني التنزيل؛ إذ يُلاحظ قارئ هذا التفسير أنّ صاحبه فسّر القرآن بالقرآن كما أكثر من استشهاده بالأحاديث النبوية في تفسيره للعديد من الآيات إضافة لتفسيره القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، كما أنه لم يستطرد ويتوسّع في ذكر المباحث اللغوية والبلاغية بل ذكر منها بمقدار الحاجة، أمّا موقفه من الروايات الإسرائيلية فإنه لم يكثر من إيرادها في تفسيره بل اقتصر على الصّحيح منها وإن نقل سقيمَها تعقّبه بالرّدّ والتضعيف والتنبيه على بطلانه.

[9] الجواهر الحسان، الثعالبي،، 1/ 117-118.

[10] المصدر نفسه، 118/1.

المطلب الثاني: الاقتصار على ذكر أقوال الإمام مالك

من الأساليب التي اتبعها الإمام الثعالبي في تفسيره والتي تبرز عنايته بالفقه المالكي أنه يقتصر على نقل أقوال الإمام مالك في المسألة دون الإشارة إلى أقوال غيره من أصحاب المذاهب الفقهية، ويظهر هذا المنهج جليّاً في العديد من المواضع في تفسيره؛ وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة على هذا الأسلوب من تفسيره الجواهر الحسان:

1- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ ﴾[المائدة: 89] جاء في الجواهر الحسان: "قال الفخر[11]: وبدأ سبحانه بالإطعام لأنه أعم وجودا، والمقصود منه التنبيه على أنه سبحانه يراعي التّخفيف، والتّسهيل في التّكاليف، وثانيها: أنّ الإطعام أفضل"[12]، ثمّ عقّب الثّعالبي على ما اختصره من كلام الرّازي بقوله: "وهذا هو مشهور مذهب مالك"[13]، واقتصر الثّعالبي في هذه المسألة على ذكر مشهور المذهب المالكي ولم يتطرّق إلى ذكر أقوال باقي المذاهب الفقهية.

2- وفي حكم المكاتبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا ﴾ [النور: 33]. قال الإمام الثعالبي: "ومذهب مالك: أن الأمر بالكتابة هو على الندب "[14]، وكغيرها من المسائل لم يتطرّق الإمام الثعالبي إلى أقوال باقي أصحاب المذاهب الفقهية في هذه المسألة.

---

[11] ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 421/12.

[12] الجواهر الحسان، الثعالبي، 416/2.

[13] المصدر نفسه، 416/2.

[14] المصدر نفسه، 185/4.

3- وقال في موضع آخر: "وذكر الثعلبي خلافا في مؤمني الجن، هل يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة، أو يجارون من النار فقط؟ الله أعلم بذلك، قال الفخر: والصحيح أنهم في حكم بني آدم يستحقون الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، وهو قول مالك"[15].

أيضا ممّا تجدرُ الإشارة إليه وله ارتباطٌ بهذا الباب أن الإمام الثّعالبي يكثر من النّقل عن الإمام ابن العربي الأندلسي المالكي في تفسيره، خاصّة نقوله عن الإمام مالك والاكتفاء بها دون التعرّض لذكر أقوال أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى، وسأكتفي بذكر مثالين على هذا المنهج من تفسير الجواهر الحسان:

1- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[النحل: 116]. جاء في الجواهر الحسان: " قال ابن العربي في "أحكامه"[16] ومعنى الآية: لا تصفوا من قبل أنفسكم، إنما المحرم والمحلل هو الله سبحانه، قال ابن وهب: قال مالك لم يكن من فتيا الناس أن يُقال لهم: هذا حلال، وهذا حرام، ولكن يقول: أنا أكره هذا، ولم أكن لأصنع هذا، فكان الناس يطيعون ذلك، ويرضونه، ومعنى هذا: أن التحليل والتحريم إنما هو لله كما تقدم بيانه، فليس لأحد أن يصرح بهذا في عين من الأعيان إلا أن يكون الباري تعالى يخبر بذلك عنه، وما يؤدي إليه الاجتهاد أنه حرام يقول فيه: إني أكره كذا، وكذلك كان مالك يفعل، اقتداء بمن تقدم من أهل الفتوى"[17].

2- وجاء في موضع آخر في سياق تفسيره لقول تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف: 16]: " قال ابن العربي في "أحكامه"[18] قال مالك: ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول كما قال الله تعالى: ما شاء الله لا قوة إلا بالله"[19].

---

[15] الجواهر الحسان، الثعالبي، 225/5.

[16] أحكام القرآن، ابن العربي، 166/3.

[17] الجواهر الحسان، الثعالبي، 446/3.

[18] ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، 233/3.

[19] الجواهر الحسان، الثعالبي، 526/3.

ويتّضح جليّاً لقارئ تفسير " الجواهر الحسان" أن تفسير " أحكام القرآن" للإمام ابن العربي المعافري هو التفسير الوحيد الذي أكثر الإمام الثعالبي من النّقل منه من بين جميع التفاسير الفقهية، كما يُلاحظ تكرّر هذه النُّقول في العديد من المواضع؛ إذ تعدّت المواضع التي نقل فيها الإمام الثعالبي عن الإمام ابن العربي مائة موضع، ونقْله عنه دون غيره من المفسّرين الذين تخصّصوا في تفسير آيات الأحكام إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على العناية البارزة والاهتمام البالغ الذي أولاه الإمام الثعالبي بالمذهب المالكي وتقديمه على غيره من المذاهب الفقهية.

أيضا ممّا يُلاحظ على نُقول الإمام الثعالبي من " أحكام القرآن" أنّ أكثر ما يصدّر به هذه المواضع قوله: " قال ابن العربي في " أحكامه"، وهذا المنهج الذي اتبعه الإمام الثعالبي من التّصريح بمن نقل عنه في جميع المصادر التي استقى منها لتفسيره يبرز مدى التزامه بالدّقّة والأمانة العلمية بنسبة الأقوال إلى أصحابها.

المطلب الثالث: تقديم الإمام مالك على غيره من العلماء عند الاتفاق على قول واحد

من الأساليب التي اعتمدها الإمام الثعالبي في نقله لأقوال الإمام مالك في تفسيره أنّه يصدّر عزوه للقائلين بالقول باسم الإمام مالك ثمّ يتبعه بمن وافقه من أهل العلم أو من أصحاب المذاهب الفقهية، وسأكتفي بذكر ثلاثة أمثلة عن هذا المنهج من تفسير الجواهر الحسان:

1- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: 217]، جاء في الجواهر الحسان: "وقوله تعالى: ومن يرتدد، أي: يرجع عن الإسلام إلى الكفر عياذا بالله، قالت طائفة من العلماء: يستتاب المرتد ثلاثة أيام، فإن تاب، وإلا قتل، وبه قال **مالك**، وأحمد، وأصحاب الرأي، والشافعي في أحد قوليه"[20].

[20] الجواهر الحسان، الثعالبي، 437/1.

2- في بيان معنى قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: 282] جاء في الجواهر الحسان: " وقوله تعالى: من رجالكم: نصٌّ في رفض الكفار، والصبيان، والنساء، وأما العبيد، فاللفظ يتناولهم. واختلف العلماء فيهم، وقول **مالك**، والشافعي، وأبي حنيفة، وجمهور العلماء: أن شهادتهم لا تجوز، وغلبوا نقض الرق"[21].

3- وجاء في " الجواهر الحسان" في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء:101] " ضربتم: معناه: سافرتم، قال **مالك**، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن راهويه: تقصر الصلاة في أربعة بُرُدٍ، وهي ثمانية وأربعون ميلا وحجتهم أحاديث رويت في ذلك، عن ابن عمر، وابن عباس"[22].

وقد يظنّ القارئ لتفسير الجواهر الحسان أن ترتيب المؤلِّف للأعلام في هذه المسائل وغيرها كان باعتبار تاريخ الوفاة؛ فالإمام مالك توفي سنة 179هـ[23] وبعده الإمام الشافعي سنة 204هـ[24] ثم الإمام أحمد سنة 241هـ[25]، لكن تأخير الإمام أبي حنيفة المتوفي سنة 150هـ[26] ثم الإمام ابن راهويه المتوفي سنة 238هـ[27] يؤكّد أن ترتيبهم بهذا النحو لم يكن بحسب تاريخ وفاتهم بل باعتبار مكانتهم عند ناقل قولهم – والله أعلم-.

[21] الجواهر الحسان، الثعالبي، 547/1.

[22] المرجع نفسه، 290/2.

[23] ينظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، أبو سليمان ابن زبر الربعي، 405/1، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، 137/4.

[24] ينظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، أبو سليمان ابن زبر الربعي، 2 /435، ووفيات الأعيان، ابن خلكان، 165/4، والوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، 124/2.

[25] ينظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، أبو سليمان ابن زبر الربعي، 529/2، طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، 16/1، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، 64/1، والوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، 228/6.

[26] ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، 414/5، والوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، 89/27.

[27] ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، 200/1، والوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، 251/8.

المطلب الرابع: التصريح باسم الإمام مالك والإشارة إلى غيره دون ذكرٍ لأسمائهم

أيضا من الأساليب التي اتّبعها الإمام الثعالبي في نقله لأقوال الإمام مالك أنّه يذكر قوله ويكتفي بالإشارة إلى غيره من أهل العلم معتمداً في ذلك على الصّيغ التالية: "قال فريق من العلماء"، أو: "وجماعة معه"، أو: "وجماعة من العلماء"، أو: "وجمهور من العلماء" أو: "وقال غيره"، ومن الأمثلة على هذا الأسلوب من تفسير الجواهر الحسان أذكر:

1- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة: 184]، جاء في "الجواهر الحسان"، "والآية عند مالك: إنما هي فيمن يدركه رمضان ثان، وعليه صوم من المتقدم، فقد كان يطيق في تلك المدة الصوم، فتركه، والفدية عند مالك **وجماعة من العلماء**: مُدٌّ لكل مسكين"[28].

2- وفي تحيدد شروط المساجد التي يُقام فيها الاعتكاف جاء في الجواهر الحسان: ((قال مالك- رحمه الله- **وجماعة معه**: لا اعتكاف إلا في مساجد الجمعات، وروي عن مالكٍ أيضاً أنَّ ذلك في كل مسجدٍ))[29].

3- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾ [البقرة: 196]، جاء في "الجواهر الحسان": "وأجمع جمهور الناس على أن المحصر بالعدو يحل حيث أحصر، وينحر هديه، إن كان ثم هدي، ويحلق رأسه، وأما المحصر بمرض، فقال مالك، **وجمهور من العلماء**: لا يحله إلا البيت، ويقيم حتى يفيق، وإن أقام سنين، فإذا وصل البيت، بعد فوت الحج، قطع التلبية في أوائل الحرم، وحل بعمرة، ثم تكون عليه حجة قضاء، وفيها يكون الهدي"[30].

[28] الجواهر الحسان، الثعالبي، 377/1.

[29] المصدر نفسه، 398/1.

[30] المصدر نفسه، 409/1.

4- في تحديد صورة القسمة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: 60]، نقل الإمام الثعالبي مذهب الإمام مالك في هذه المسألة: ((إنما في هذه الآية حاصرة تقتضي وقوف الصدقات على الثمانية الأصناف، وإنما أختلف في صورة القسمة، ومذهب مالك **وغيره** أن ذلك على قدر الاجتهاد، وبحسب الحاجة))[31].

المطلب الخامس: نقله لآراء الإمام مالك التّفسيرية

نقل الإمام التّعالبي عن الإمام مالك لا يقتصر على أقواله الفقهية بل يتعدّاه إلى آرائه التفسيرية، وتفسير الإمام مالك من التّفاسير المفقودة التي كان لها ذِكر في مؤلّفات الأوّلين[32]، من ذلك قول ابن النّديم في عَدّه لكتب التّفسير: ((كتاب تفسير مالك بن أنس))[33]، وقال القاضي عياضاً: " اعلموا وفقكم الله تعالى أن لمالك رحمه الله تعالى أوضاعاً شريفة مروية عنه، أكثرها بأسانيد صحيحة في غير فن من العلم، لكنه لم يشتهر عنه منها ولا واظب على إسماعه وروايته غير الموطأ حذفه منه وتلخيصه له شيئاً بعد شيء وسائر تأليفه، إنما رواها عنه من كتب بها إليه أو سأله إياها أحد من أصحابه ولم تروها الكافّة... ومن ذلك كتابه في التفسير لغريب القرآن الذي يرويه عنه خالد بن عبد الرحمان المخزومي "[34]، ومن نقولات المفسرين منه ما نقله عنه ابن كثير في بداية تفسيره لسورة الشعراء: " وَهِيَ مَكِّيَّةٌ وَوَقَعَ فِي تَفْسِيرِ مَالك المرويّ عنه تسميتها سورة الجَامِعَةِ "[35].

وفي نفس السّياق يتّضح جليّاً نقْل الإمام الثعالبي – في تفسيره " الجواهر الحسان"– بعض آراء الإمام مالك التفسيرية؛ من ذلك أذكر:

---

[31] الجواهر الحسان، الثعالبي، 188/3.

[32] ينظر مقدمة كتاب: مرويّات الإمام مالك بن أنس في التفسير، جمع وتحقيق: محمد بن رزق بن طرهوني وحكمت بشير ياسين.

[33] الفهرست، ابن النديم، ص.53.

[34] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 93/2.

[35] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 122/6.

1- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:143] جاء في الجواهر الحسان: "قال مالك: قال الله تبارك وتعالى: وما كان الله ليضيع إيمانكم قال: هي صلاة المؤمنين إلى بيت المقدس"[36].

2- أيضا من المواضع التي نقل فيها الإمام الثعالبي آراء الإمام مالك التفسيرية ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:7] قال: "((وسئل مالك عن تفسير الراسخين في العلم، فقال: العالمون العاملون بما علموا، المتبعون له))"[37].

3- وجاء في موضع آخر في تفسيره لقوله تعالى:﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة: 108]، "قال ابن العربي في "أحكامه"[38]: وقد روى ابن وهب وأشهب، عن مالك أن المراد بـ"مسجد أسس على التقوى": مسجد النبي ﷺ))"[39].

4- وفي بيان المُراد بالثّقل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزّمّل:5]: قال الثعالبي: " والصواب عندي أن يقال: أمّا ثقله باعتبار النبي ﷺ، فهو ما كان يجده ع من الثقل المحسوس وأما ثقله باعتبار سائر الأمة فهو ما ذكر من ثقل المعاني، وقد زجر مالك سائلا سأله عن مسألة وقال: يا أبا عبد الله إنها مسألة خفيفة فغضب مالك وقال: ليس في العلم خفيف أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ فالعلم كلّه ثقيل"[40].

---

[36] الجواهر الحسان، الثعالبي، 328/1.

[37] المصدر نفسه، 12/2.

[38] ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، 584/2.

[39] الجواهر الحسان، الثعالبي، 214/3.

[40] المصدر نفسه، 502/5.

المطلب السّادس: مخالفته للإمام مالك في مسائل محدودة

القول بأن الإمام الثّعالبي مالكيّ المذهب لا يعني عدم مخالفته للإمام مالك في بعض المسائل، سواء الفقهية أو التفسيرية، ومن المسائل التي أورد فيها الثّعالبي قول مالكٍ ورجّح بخلافه أذكر:

1- مسألة المراد بالحكمة في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: 129]، فبعد أن ذكر فيها تفسير قتادة للحكمة في هذه الآية بالسّنّة، عقّب عليه بقوله: ((ونقل عياض في " مداركه"[41] عن مالك أن الحكمة نور يقذفه الله في قلب العبد، وقال أيضا: يقع في قلبي أن الحكمة الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله، وقال أيضا: الحكمة التفكر في أمر الله، والاتباع له، والفقه في الدين، والعمل به))[42]، ثمّ رجّح الإمام الثعالبي قول قتادة فيها، ونصّ ترجيحه: ((والظاهر أن المراد ب الحكمة هنا: ما قاله قتادة، فتأمّله))[43].

2- ومن المسائل الفقهية التي خالف فيها الإمام الثّعالبي قول الإمام مالك هي حكم المتعة للمطلّقات، جاء في الجواهر الحسان: "وقوله تعالى: ومتعوهن. أي: أعطوهن شيئا يكون متاعا لهن، وحمله ابن عمر وغيره على الوجوب، وحمله مالك وغيره على الندب"[44]، وقد رجّح الإمام الثّعالبي قول الجمهور في هذه المسألة، يظهر هذا في قوله: "وظاهر الآية عموم هذا الحكم في جميع المطلقات كما هو مذهب الشافعي، وأحمد، وأصحاب الرأي))[45].

3- أيضا مسألة المُراد من "لغو اليمين" التي رجّح فيها الإمام الثّعالبي قول جماعة من السلف والإمام الشافعي وخالف فيها قول الإمام مالك[46].

---

[41] ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 62/2.

[42] الجواهر الحسان، الثعالبي، 321/1.

[43] ينظر: المصدر نفسه، 320/1.

[44] المصدر نفسه، 474/1.

[45] المصدر نفسه، 475/1.

[46] ينظر: المصدر نفسه، 455/1.

ومخالفة الإمام الثعالبي للإمام مالك في بعض المسائل إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على اجتهاده وعدم تعصّبه لمذهبه المالكي بل يسيرُ مع الدّليل إذا صحّ عنده، وهذا يدلّ على رسوخ في العلم وضبطٍ لأصوله وفروعه، وليس هذا بغريب على الإمام الثعالبي الذي صنّف في أغلب العلوم الشرعيّة.

خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية هذه أبرز نتائجها:

– الإمام الثعالبي من بين أبرز علماء وطننا الذين كانت لهم عناية بارزة بالمذهب المالكي في مصنّفاتهم.

– يقتصر الإمام الثعالبي على نقل أقوال الإمام مالك دون الإشارة إلى أقوال غيره من أصحاب المذاهب الفقهية في العديد من المواضع في تفسيره.

– عند اتّفاق الإمام مالك مع غيره على قول واحدٍ يصدّر الإمام الثعالبي القول بذكر الإمام مالك.

– يصرّح الإمام الثعالبي باسم الإمام مالك ويشير إلى غيره دون ذكرٍ لأسمائهم، معتمدا في ذلك على عدّة صيغ؛ أبرزها: " فريق من العلماء"، " وجماعة معه"، " جماعة من العلماء"، " جمهور من العلماء "، " وقال غيره"، ويظهر هذا الأسلوب في كثير من المواضع في الجواهر الحسان.

– لا يقتصر نقل الإمام الثّعالبي عن الإمام مالك على أقواله الفقهيّة بل يتعدّاه إلى آرائه التفسيرية، وهو ما يتّضح جليّاً لقارئ تفسيره.

– من المصادر الرئيسة التي استقى منها الإمام الثعالبي في " الجواهر الحسان" تفسير " أحكام القرآن" للإمام ابن العربي الأندلسي المالكي، وهو من أبرز كتب التفسير التّخصّصي المعتبرة في الفقه المالكي.

– تمذهب الإمام الثّعالبي على المذهب المالكي لم يمنعه من مخالفته وترجيح ما سواه في بعض المسائل، وهذا يعطي لمحةً وجيزةً عن شخصيّة الإمام الثعالبي العلميّة التي امتازت بالاتّزان والرّصانة العلميّة دون تعصّبٍ ولا انحيازٍ مع تقديم وجاهة الدّليل على الانتماء المذهبي – إنِ اختلفَا–.

- المنهج الذي اتّبعه الإمام الثعالبي في نقله لأقوال الإمام مالك في تفسيره يُبرز مدى عنايته بالمذهب المالكي لارتباطه الوثيق بتاريخ وطننا، وهو ما يؤكّد على وجوب الحفاظ على وحدة المرجعية الدّينية لبلادنا بشقَّيْها العقدي والفقهي.

- عناية علماء الجزائر بالمذهب المالكي يوكّد على كونه مكوّنا أساسيّا من مكوّنات الهويّة الوطنية ممّا يستوجب التّمكين له والاهتمام به من خلال جمع مفرَّقه وتحقيق مخطوطه ودراسة مطبوعه.

.

قائمة المصادر والمراجع:

1 أحكام القرآن، ابن العربي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، د.ت

2 تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر ودار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1358هـ - 1965م.

3 تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، أبو سليمان ابن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1410هـ.

4 التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن ميمون الجزائري، ت: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

5 ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ت: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1.

6 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ.

7 الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، ت: محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

8 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن قاسم مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م.

9 طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د.ت

10 غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، الثعالبي، ت: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ، 2005م.

11 الفهرست، ابن النديم، ت: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط2، 1417هـ، 1997م.

12 مرويّات الإمام مالك بن أنس في التفسير، جمع وتحقيق: محمد بن رزق بن طرهوني وحكمت بشير ياسين، دار المؤيد، ط1، 1415هـ، 1995م.

13 مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

14 الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، 2000م.

15 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1900م.

16 وفيات الونشريسي، الونشريسي، ت: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د.ت